



الفصل السادس والثلاثون

الثالثة ثابتة

الأول، والتاسع عشر، والحادي والعشرون من كانون الأول عام



٢٠٠٩م

نعم، لقد حان دوره هذه المرّة. ينطبق على هذه الحالة مقولة «الثالثة ثابتة»؛ فبعدما حلّ ثالثاً عام 2007م، وثانياً عام 2008م، فاز ليونيل أندرياس ميسي بالكرة الذهبية التي تمنحها مجلة فرانس فوتبول لموسم عام 2009م. جاء هذا الفوز بعد تغلبه على منافسيه بفارق كبير؛ فقد حصل على (473) نقطة من أصل (480) ممكنة؛ أي أكثر من ضعف ما حصل عليه كريستيانو رونالدو الذي حلّ ثانياً بعد حصوله على (233) نقطة. في حين احتلّ تشافي هيرنانديز المركز الثالث بحصوله على (173) نقطة.

صوّت لميسي (90) شخصاً من أصل (95)؛ أي ما نسبته 98,56% من عدد النقاط الممنوحة، وهو رقم لم يحظَ به أحد طوال (54) عاماً منذ منح الجائزة المميّزة؛ أمّا الأقرب فكان ميشيل بلاتيني الذي حصل على نسبة 98,46% عام 1984م؛ إنّه نصر مظفّر. هناك ثلاثة، وهذه أسباب نجاح ميسي التي ذكرها المحرّر المسؤول في المجلة دينيس شومبير:

1 - نجاح ميسي في العروض التي قدّمها؛ المراوغات والتسارع، والجهد الذي





ميسي

يبدله لخلخلة الخصوم، ومهاراته، وروحه الخلاق، وتعاونه مع الفريق، إلى جانب الأهداف التي سجّلها، كل ذلك أسهم في ترك أثر عميق في أثناء العام. ما زال تأثيره في كرة القدم غير كامل. ولكن، ما يذهلني هو المتعة التي يصنعها حضوره في الملعب، وهي متعة مشابهة لما كان يفعلها مارادونا.

2- تذكّر أنّ ميسي نافس على الجائزة مرّات عدّة على الرغم من صغر سنّه. ومن الواضح أنّ كرة القدم الحديثة لن تمنح أسمى التكريّمات لمجرّد طفرة، حتى لو كانت الحالة خاصة بشخص متميّز مثل ميسي.

3- تتويج ميسي بلقب دوري الأبطال والدوري الإسباني مع برشلونة، فضلاً عن فوزه بلقب كأس الملك وكأس السوبر الأوروبي، وقيادته المنتخب الأرجنتيني للتأهّل إلى نهائيات بطولة كأس العالم. من الصعب تخيل سلسلة أكثر روعة من تلك الإنجازات.

الكلّ متفق على ما حقّقه ميسي من ألقاب، وأداء راقٍ، ومهارة في مسيرته الاحترافية. لقد انحنى جميع الصحفيين المشاركين في لجنة التصويت العالمية التابعة لمجلة فرانس فوتبول أمام البرغوث. وأخذ المديح ينهال عليه من بقاع العالم شتّى؛ من اليابان إلى آيسلندا، ومن غانا إلى نيوزيلندا، ومن كازاخستان إلى إنجلترا.

يصف الصحفي في جريدة ديلي تيليغراف هنري وينتر أسباب تصويته لميسي، في مقال كتبه في مجلة فرانس فوتبول، قائلاً:

«ميسي؟ إنّه العبقريّة بأبهى صورها. لديه علاقة خاصة بالكرة. إنّه يصنع الأهداف ويسجّلها، ويلعب من دون كلل لمصلحة الفريق. عند رؤيته يلعب، تكون شاهداً على منظر بديع مسخّر لخدمة كرة القدم».

إنّها الساعة السابعة صباحاً من يوم الإثنين الموافق للثلاثين من شهر





تشرين الثاني عام 2009م، يطرق مندوب مجلة فرانس فوتبول باب (الشاليه) الذي يسكنه ميسي في كاستيلديفيلز، حاملاً معه الأنباء السارة. انتظر ميسي هذا الخبر بفارغ الصبر والشوق، وبجانبه صديقه أنتونيلا، وشقيقه رودريغو، وابنه، وابنته. وقد ردَّ على حامل النبأ بابتسامته الخجولة المعهودة، لكنّه لم يستطع إخفاء بريق عينيه.

جاء الإعلان عن الفوز بالجائزة في نهاية أسبوع رائع؛ سواء لليو، أو البارسا. فقد حقّق البلاوغرانا يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني، بفضل بيكيه وبيدرو، «نصرًا مهمًّا في دوري الأبطال على الإنتر الذي يدرّبه جوزيه مورينيو في مباراة معقّدة» بحسب صحيفة إل بايسس.

كانت مهمة رجال غوارديولا في الوصول إلى دور الستة عشر عويصة حتى تلك اللحظة، لكنّها الآن أصبحت أقلّ صعوبة. لم يتمكّن ميسي من المشاركة في تلك المباراة بسبب إصابة عضلية ألمّت به في المباراة الأخيرة من الدوري، التي واجه فيها البارسا أتلتيكو بلباو على ملعب سان ماميس، لكنّه شارك في التشكيلة الأساسية للفريق في مباراته التي خاضها أمام ريال مدريد بقيادة كريستيانو رونالدو، في التاسع والعشرين من شهر تشرين الثاني. كانت هذه المواجهة هي الرابعة بين النجمين. وقد أظهر البرتغالي الذي غاب عن المنافسات خمسين يومًا أداءً رائعًا في الست والستين دقيقة التي لعبها. ومع أنّه تولّى قيادة هجوم الريال، لكنه أهدر أخطر الفرص على فريقه. تمكّن فالديز من صدّ تسديداته لتصبح تلك المباراة رابعة المباريات التي يفشل فيها بهزّ شباك البارسا. أمّا ميسي فقد كان غائبًا تمامًا في الشوط الأول؛ إذ لم يستطع صنع الأهداف أو تسجيلها، وكانت إسهاماته غير فاعلة بتاتًا. ومع أنّه كان يلعب خلف خطوط المهاجمين، لكنه لم يظهر بحرفيته المعهودة. ولكن، في الشوط الثاني، وبعد أن وضع إبراهيموفيتش البارسا في المقدمة بتسديدة لا تُردّ من قدمه اليسرى، وبعد





ميسي

حصول بوسكيتس على بطاقة حمراء؛ لمع نجم البرغوث من جديد. فأخذ يستلم التمريرات، ويصنع اللعب، واضعاً الدفاع المدريدي في موقف حرج، وساعد على عزل هجومهم، وقدم كثيراً من المهارات الفائقة. لقد أسهم ميسي أيما إسهام في وقت كان الفريق في حاجة ماسة إليه. فأوشك عند الدقيقة الثامنة والثمانين أن يضاعف النتيجة لتصبح (2-0)، بعدما مرّر إليه ألفيشس الكرة من اليمينه تاركاً إيّاه في مواجهة مع كاسياس الذي أنقذ الموقف ببراعة.

ضاعت فرحة ميسي بعدما تعذّر عليه تسجيل هدفه الثامن في مرمى الحارس المدريدي - آخر هدف سجّله كان بركلة جزاء في المباراة الودية التي جمعت إسبانيا بالأرجنتين يوم الرابع عشر من شهر تشرين الثاني- ولكن، وكما صرّح في المقابلة التي أعقبت المباراة، فإنّ الأمر «لم يُقدّر له أن يحدث، بسبب التصدي الرائع الذي قام به كاسياس. المهم أنّ البارسا فاز في المباراة». ثم أخذ يجيب عن الأسئلة المتعلقة بالكرة الذهبية، قائلاً: «فكتور فالديز هو من استحق الكرة الذهبية هذه الأمسية. لقد أنقذنا». قد يكون ذلك صحيحاً، لكنّ ليوكسب أيضاً في المواجهة الثنائية التي جمعت بصاحب الكرة الذهبية لعام 2008م؛ كريستيانورونالدو. وقد شكّلت هذه المباراة فرصة مثالية لتسليم عرش إمبراطورية الكرة.

وعلى أيّ حال، فقد كان هناك أكثر من سبب للاحتفال في يوم الإثنين هذا بكاستيلديفيلز. ظهر ميسي، وهو يرتدي قميصاً ثقيلًا موشّى باللونين: الأخضر والأبيض، ثم انضم إلى عائلته وضيوفه من مجلة فرانس فوتبول، الذين أخذوا يشربون نخب الفتى الذي واجه صعوبة في النمو، ثم انضم إلى عظماء كرة القدم. وقد تسنّى له بعد ذلك تصفّح المجلة التي حُصص غلافها - إضافة



إلى (43) صفحة من صفحاتها- للحديث عن «ملك كرة القدم الشاب».

شهد اليوم اللاحق مزيداً من الصفحات الأولى المخصّصة لميسي، فضلاً عن المقابلات الكثيرة، والمؤتمر الصحفي الضخم.

لقد حان الآن الوقت المناسب لردّة الفعل والمصارحة والإهداءات. لذا، فقد صرّح ميسي في قاعة المؤتمرات بكامب نو، قائلاً: «لا أخفي عليكم، كان لديّ شعور أنّني سأحصل عليها هذا العام. لكن، ما فاجأني هو فارق الأصوات الكبير. إنّ الفوز بالجائزة شرف عظيم، شيء رائع ولا يُضاهى، لكنني لم أكن مهوَّساً بالفوز. كنت أعلم أنّها ستأتي إذا كان مقدراً لها ذلك. وكنت سأواصل العمل بجدّ كالمعتاد، في حال خسارتي الجائزة». يسأله أحدهم عن شعوره بوصفه أول أرجنتيني يفوز بالجائزة، فيجيب: «إنّ شرف عظيم. فقد كان ديفغو (مارادونا) - بطبيعة الحال - سيفوز بها أكثر من مرّة لو طبّقت القوانين الجديدة في زمنه. لا تتسّ أيضاً أنّ دي ستيفانو وسيفوري فازا بالجائزة، ولو كانا من بلدان أخرى». (يُذكر أنّ مَنَح أحد اللاعبين بأوروبا الكرة الذهبية، كان محصوراً في الجنسيات الأوروبية حتى عام 1995م، حين أصبحت تُمنَح للاعبين الأندية الأوروبية بصرف النظر عن جنسياتهم. وقد فاز بالجائزة ألفريدو دي ستيفانو المولود ببوينوس آيرس عامي 1957م و 1959م، الذي كان يحمل الجنسية الإسبانية، في حين فاز بها عمر سيفوري عام 1961م، الذي كان يحمل الجنسية الإيطالية، مع أنّه من مواليد مدينة سان نيكولاس الأرجنتينية).

ولأنّ انتماء ليو إلى البارسا لا يقلّ عن انتمائه إلى الأرجنتين، فإنّه لا ينسى ذكر أهمية الجائزة للفريق الذي يُعدّه بيته الثاني: «في واقع الأمر، فأنا أول لاعب من أكاديمية البارسا يفوز بهذه الجائزة، ويعمل على النهوض بمشروع البارسا، وأعتقد أنّها جائزة مهمة للنادي والعاملين فيه». بعد ذلك، أخذ ميسي





ميسي

- كعادته - يقدم الشكر لعائلته وزملائه في الفريق، مُهدياً الجائزة إليهم، حيث قال مؤكداً: «لم أكن لأفوز لولاهم». ثم أشار إلى أنه كان سيصوت لأحد زملائه في الفريق لو كان من أعضاء اللجنة التي قامت بالتصويت: «تشافي وانيستا يستحقان الجائزة أيضاً». ووجه شكرًا خاصًا إلى بيب غوارديولا، بقوله: «لقد كان للمدرب دور فاعل في الحصول على الجائزة. أنا أعرفه منذ كان مدرباً لفريق البارسا (ب)، لكنني لم أتواصل معه على نحو مباشر حينها. إنّه - في رأيي - رجل فذّ ومُلمّ بكرة القدم بصورة كبيرة، ولديه قدرة على نقل معرفته إلى الآخرين بأفضل صورة ممكنة. إنّه مدرب إنسان يُلامس في تعامله الجانب الإنساني لدى اللاعبين، لذلك فهو محبوب من الجميع. إن الألقاب التي فزنا بها كانت عاملاً رئيساً في حصولي على هذه الجائزة».

وقد ردّ مدربّ البارسا قائلاً: «يستحق ليو الجائزة؛ لأنّه ببساطة لاعب يميّز بأدائه المختلف. إنّه يتحلّى بجميع الصفات اللازمة للنجاح؛ فهو قوي، سريع، يسجّل الأهداف، حتى بالرأس (لا يجروّ أحد على القول بخلاف ذلك بعد الهدف الذي سجّله في نهائي دوري الأبطال)، يفهم اللعبة، ويتصدّر الأرقام القياسية جميعها. ما يميّز ليو هو تفكيره وروح التنافس لديه».

لم يكن غوارديولا الشخص الوحيد الذي كال له المديح؛ ففي الأول من شهر كانون الأول، بدأ العالم أجمع الحديث عن «الفتى الذي أصبح أسطورة».

سيُتّوج ميسي بوصفه أفضل لاعب لكرة القدم لعام 2009م، في السادس من شهر كانون الأول عام 2009م، الساعة الحادية عشرة صباحاً، لدى استضافته في برنامج تليفوت الفرنسي الذي يُعنى بكرة القدم، حيث سيستلم الكرة الذهبية من دينيس شومبير شخصياً. ولكن، ما زال يتعيّن على ميسي خوض مباراة أمام ديورتيفولا كورونيا على ملعب رياتور في اليوم الذي يسبق





الحفلة. احتفل ميسي بفوزه بالجائزة بتسجيل هدفين، وتقديم مستوى متميز، تخلله هتاف الجماهير الغفيرة: «ميسي، ميسي، ميسي!».

دخل ميسي غرف تغيير الملابس عند منتصف الليل بعد الفوز بنتيجة (3-1)، ثم استحم بسرعة، ليلحق بطائرة خاصة تحمله إلى مطار باريس لو بورغي.

حطت الطائرة في العاصمة الفرنسية عند الساعة 15, 3 صباحًا، ثم استقل سيارة أخذته إلى فندق جورج الخامس الواقع في المنطقة الثامنة. الساعة الآن الرابعة صباحًا، لكن النوم يجافي ميسي، حيث أمضى ما تبقى من الليلة يستمع إلى الموسيqa (دون عمر، ودي جيه فليكس تحديدًا)، ويشاهد التلفاز، ويتجاذب أطراف الحديث مع شقيقه رودريغو وماتياس، وشقيقته ماري سول.

بدأت رحلة النصر الباريسية عند الساعة 30, 9 صباحًا، حيث أخذ ميسي يطوف في شوارع المدينة، مرتديًا بزة رسمية وربطة عنق، وواضعًا على مٌحيّاه بعض مساحيق التجميل، ثم يتوقّف عند برج إيفل هُنيهة قبل دخول إستوديوهات التلفزيون، حيث استقبل هناك بالتحية والحفاوة من زميله السابق في البارسا ليليان تورام.

جلس ميسي أمام آلات التصوير، وأخذ يتلقّى التحية والتصفيق، ثم تسلّم الجائزة. أعقب ذلك جلسة تصوير مع العائلة والأصدقاء ورئيس نادي برشلونة خوان لابورتا، وأشخاص يمثلون النادي، ومجلة فرانس فوتبول، وقناة تي إف 1 التلفزيونية الفرنسية.

جابت به السيارة الرسمية شوارع باريس مرّة أخرى، ثم قفلت به عائدة في اتجاه المقرّ الرئيس لقناة تي إف 1 في منطقة بولونيا بلانكور. لكن، وقبل





هيسي

أن يتمكّن ليو من تناول طعام الغداء في قاعة لويس الثالث عشر بفندق جورج الخامس والعودة بعدها إلى الديار، تعيّن عليه تقديم مؤتمر صحفي أخير. وفيه، اعترف ليو الذي بدا جالساً على كرسي من دون ظهر أو مسندين، بأنه كان على أحرّ من الجمر لاستلام الجائزة، ورفع الكرة الذهبية عالياً؛ فالأيام الستة قد تبدو أطول في بعض الحالات. وفاجأ الحاضرين باعترافه: «أودّ الفوز بها مجدّداً، سيكون رائعاً الفوز بالمزيد منها».

من الواضح أنّ ثقة الفتى بنفسه كبيرة، فلننتظر، ولنراقب إذن. في هذه الأثناء، يواجه البارسا بعض التحديات الأخرى، أبرزها كيفية الوصول إلى دور الستة عشر من دوري الأبطال؛ إذ تنتظر رجال غوارديولا مباراة صعبة في كييف، حيث تنخفض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، وما زال شيفيشنكو وفريقه يؤمنون بحظوظهم في التأهل. صحيح أنّ هناك نتيجتين تصبّان في مصلحة البلاوغرانا؛ فإمّا التعادل، وإمّا الخسارة بفارق هدف، كلّ ذلك يعتمد على نتيجة مباراة الإنتر مع ضيفه روبن كازان، التي تقام في الوقت نفسه على ملعب جوسيب مياتزا بميلان. لكنّ الهدف الرئيس هو التأهل على رأس المجموعة؛ لتجنّب مواجهة الفرق الإنجليزية القوية: تشيلسي، ومانشستر يونايتد، وأرسنال. لذا، يُعلنها غوارديولا صراحة: «لا نريد الخوض في سحابات معقّدة»، مطالباً فريقه باحترام أسلوب الفريق، واللعب للفوز فقط. لن يكون الأمر سهلاً؛ فدينامو كييف سجّل هدف التقدّم بعد دقيقتين على ملعب لوبانوفسكي نتيجة خطأ في الدفاع الكاتالوني. تتعقّد الأمور بصورة كبيرة؛ فكلّ ما يفصل بطل موسم 2008م-2009م عن الخروج من البطولة، هو تلقّي هدف ثانٍ. لكنّ البارسا يتماسك، ويحرم اللاعبين الأوكران من الكرة، إنهم يضغطون من دون توقّف، حتى يتمكّنوا أولاً من تعديل النتيجة بفضل هدفٍ لتشافى، وتحقيق النصر فيما بعد.





يؤمن ليو النصر بتسجيله هدفاً رائعاً من ركلة حرّة مباشرة. وكان قد تعرّض للكثير من اللعب الخشن الذي عمد إليه لاعبو دينامو، حتى إنّه تلقى فرصة للتسجيل قبلاً، لكنّه لم يتمكّن من استغلال الهدية التي تلقّاها من شوفكوفسكي بعدما قام هذا الأخير بتشتيت الكرة على نحوٍ خطأ، لينتهي المطاف بميسي فاقدًا أعصابه بعد الخشونة التي تعرّض لها في منطقة الجزاء. يحصل الفريق على ركلة حرّة مباشرة في الدقيقة السادسة والثمانين، فيتقدّم البرغوث من الكرة، ثمّ ينفذها بأسلوب راقٍ؛ تسديدة بالقدم اليسرى تفجّر المرمى. من المؤسف أنّه تعرّض لعرقلة خلفية من ألميدا بعدها بأربع دقائق - تلك كانت المرّة التاسعة التي يتعرّض فيها للعِثار والاعتداء - ليسقط على الأرض مصاباً.

علّق بيب غوارديولا - بعد انتهاء المباراة - على هذا الأمر: «قائلاً: لو كان لاعباً آخر لتراخى بعد الفوز بالكرة الذهبية، لكنّ ليو يملك روحاً تنافسية لا تُضاهى، إنّه يريد دائماً تسجيل المزيد من الأهداف، وكثيراً ما يُردّد: «أريد أن أفعلها»، ثمّ يحاول مجدداً كلّ مرّة».

أشار التقرير الطبي إلى إصابة ميسي بتمزّق من الدرجة الأولى في الكاحل الأيمن؛ ما يعني عدم قدرته على اللعب في مباراة الديربي أمام إسبانيول، فضلاً عن احتمال غيابه عن مباراة نصف نهائي كأس العالم للأندية المزمع إقامتها في أبوظبي. وعلى الرغم من غياب ميسي عن مباراة الفريق في ملعب كامب نويوم الثاني عشر من شهر كانون الأول، إلّا أنّه تمكّن من استعراض الكرة الذهبية أمام نحو (554, 84) متفرّجاً كانوا حاضرين هناك، وأعقب ذلك استلامه الجائزة من والدته سيليا.

يا لها من لحظة حُبلى بالعواطف الجياشة التي خالطها تصفيق حاد! إنّها اللحظة التي تسبق السفر إلى أبوظبي، حيث سيواجه البارسا في نصف





النهائي يوم الأربعاء الموافق للسادس عشر من شهر كانون الأول نادي أتلانتي المكسيكي الفائز على نادي أوكلاند النيوزلندي (0-3) في دور ربع النهائي.

تُظهر الصور واللقطات التلفزيونية القادمة من الإمارات العربية المتحدة ميسي وهو على شاطئ البحر، مرتدياً سروال سباحة أزرق اللون، ورباطاً كاحله بضمادة؛ إنه يتمرن من أجل العودة في الوقت المناسب.

انغمس ميسي وبقيه لاعبي البارسا في المنافسة، وركّزوا أيّما تركيز على التدريبات الصارمة؛ استعداداً للمواجهة القادمة أمام أتلانتي الذي يُعرف فريقه بالفرة الحديدية. تصبّ الترشحات في مصلحة الفريق الكاتالوني الذي سيواجه منافسه بطل منطقة الكونكاكاف، لكنّ مشجعي البارسا لم ينسوا بعدُ النهائيين اللذين خسرهما الفريق عامي 1992م، و 2006م. يتعيّن على الفريق التهيؤ نفسياً منذ البداية. تلك كانت الخطّة، لكنّ الأمور لا تسير على ما يرام؛ إذ تأخّر البارسا في المباراة المقامة على ملعب مدينة زايد الرياضية بهدف بعد خمس دقائق فقط. ومع أنّ سيرخيو بوسكيتس عدّل النتيجة في الدقيقة الخامسة والثلاثين، لكن البارسا لم يتمكّن من احتواء منافسه المكسيكي الذي دافع جيداً، واستغل الفرص القليلة التي سنحت له؛ فأخذ بالترنّح (البارسا)، وبدأ أنّ المباراة على وشك أن تفلت من يده. لا يوجد خيار آخر سوى استدعاء ميسي. من المفترض ألاّ يلعب هذا الأرجنتيني الجالس على مقاعد البدلاء إلاّ عند الضرورة القصوى. لكنّ البارسا في موقف حرج؛ ما دفع غوارديولا إلى الزجّ به في الدقيقة الثالثة والخمسين.

صرّح مدربّ الفريق المكسيكي خوزيه كروز لاحقاً بالآتي: «عرفت أنّ ميسي سيشتك لحظة سماعي صرخات الجمهور. وعرفت أيضاً أنّ مشاركته ستقلب موازين المباراة. لكنني لم أتوقّع أن ينجح في ذلك بتلك السرعة».





كلّ ما احتاج إليه ليولقب المباراة وتغيير النتيجة، كان دقيقة واحدة لا أكثر. فقد نجح الأرجنتيني في الهروب من الرقابة بالجري القطري، وحين لمحه إبراهيموفيتش التفتّ حول نفسه، مُهدياً إليه تمريرة دقيقة في العمق. ثمّ تولّى البرغوث بقية الأمر؛ إذ سيطر على الكرة بإحكام، ثمّ راوغ حارس أتلانتي، واضعاً الكرة في المرمى. فأصبحت النتيجة (1-2) من أول لمسة له، مُنهيًا المقاومة المكسيكية، وباعثاً الروح في فريقه. بعد ذلك، سجّل بيدرو الهدف الثالث ليصبح أول لاعب في التاريخ يسجّل لناديه في ست منافسات مختلفة ضمن موسم واحد. والآن، يمكن للاعبين البارسا تسلية الجمهور باللمسات الفنية والتسديدات الراقية. تأتي الفرص واحدة تلو الأخرى؛ ما أتاح لميسي رفاهية إضاعة انفراده بالحارس الأرجنتيني فيلار الذي يعرفه (ميسي) جيداً من منتخب الألبيسيلستي. أثبت ميسي مرّةً أخرى أنّه المنقذ بلا منازع. وقد شرح خوزيه كروز هذا الأمر على النحو الآتي: «برشلونة هو أفضل فريق في العالم من دون ميسي، فإذا لعب هذا الأخير، أصبح الفريق كأنه قادم من مجرّة مختلفة». كلام يلخّص الوضع برمّته.

لم يتبقّ سوى النهائي المزمع إقامته في التاسع عشر من شهر كانون الأول؛ لم يتبقّ أمام البارسا سوى نادي إستوديانتس دي لا بلاتا الأرجنتيني الذي أقصى بدوره نادي بوهانغ ستيلرز الكوري بعد الفوز عليه في نصف النهائي بنتيجة (1-2). إنّه فريق الساحرة الصغيرة الذي يلعب له خوان سيباستيان فيرون، الذي كان مرشد ليو خلال بطولة كوبا أمريكا عام 2007م؛ إنّه الرحالة الذي أضحى العنصر الرئيس في الفريق، والذي يحلم بتكرار إنجاز والده خوان رامون فيرون الملقّب بالساحر، الذي قاد هجوم فريق إستوديانتس الملقّب بطاعني الجرذان (اسم يُطلق على الجزمة ذات المقدّمة المستدقة)، عام 1968م للفوز بكأس القارات، بعد هزيمة مانشستر يونايتد على ملعب أولد ترافورد.





ميسي

إنه - ولا شك - حلم يوشك أن يتحقق على أرض الملعب، وسيستمر حتى الدقيقة التاسعة والثمانين؛ أي المباراة بأكملها تقريباً. المعجزة على وشك أن تتحقق. تقدّم الفريق الأرجنتيني بهدف عند نهاية الشوط الأول تقريباً (الدقيقة السابعة والثلاثون تحديداً)، من رأسية لبوزيلي الذي استغل الثغرة الموجودة بين بويول وأبيدال، واضعاً عرضية دياز في المرمى. فريق البارسا في موقف لا يُحسد عليه؛ إنهم متأخرون بهدف، لم يسجلوا أي هدف حتى الآن، ميسي تلقى بطاقة صفراء، والأدهى أنّ الفريق تائه، وعاجز عن إيجاد ثغرات في منطقة الوسط، أو إتمام تمريرات حاسمة.

لقد نجح ثلاثي الارتكاز في الفريق الأرجنتيني في سدّ المنافذ جميعها؛ فميسي لا يظهر، وهنري حاضر غائب، أمّا إبراهيموفيتش فيقاتل. ولكن، من دون جدوى.

في المقابل، نجد فريق إستوديانتس يتعامل مع الوضع بأفضل ما لديه؛ قتل المباراة، والتصدي للكرات، وواد محاولات لاعبي البارسا باستخدام أيّ من الوسائل المتاحة (ارتكاب الأخطاء، التشبث، ترك الكرة تخرج خارج الملعب، إجراء التبديلات، بعض الركلات)؛ كل ذلك لإضاعة الوقت، وبلوغ الدقيقة التسعين للفوز بالكأس التي طالما حلموا بالفوز بها للمرّة الثانية.

يأبى البارسا الاستسلام، مُظهرًا كل ما لديه من قوة الشكيمة، ومحاولاً اختراق خطوط الدفاع مرّة تلو الأخرى، إلى أن يتمكّن تشافي من رفع الكرة إلى داخل منطقة الجزاء في الدقيقة الأخيرة، فيتلقأها بيكيه، مرسلًا إيّاها إلى بيدرو الذي يضعها في المرمى برأسه. لقد تمكّنوا أخيرًا من تعديل النتيجة. ثمّ يبدأ الشوطان الإضافيان، والبارسا في حكم المنتصر؛ إنّه أمر يعرفه الفريق الأرجنتيني جيّدًا. فالنظرة التي تعلق وجوههم توحى بذلك، وإن طاقاتهم





(الفريق الأرجنتيني) قد استُفِدَت، وها هم أولاء يعجزون عن الوقوف في وجه ميسي الصغير الذي بدا كأنه يلعب بملعب الحي، ثم سجّل هدفاً بصدرة، بقلبه، بالشعار الذي على قميصه. فقد توقّع حركة صديقه خوان سيباستيان، ثم حوّل عرضية ألفيش عند الدقيقة المئة بطريقة لم يتوقّعها أحد.

ولكن، لماذا سدّد بصدرة لا برأسه؟ شرح ليو هذا الأمر في مقابلة مع صحيفة إل بايس في اليوم اللاحق: «أردت ضمان تسجيل الهدف. لاحظت أنّ الحارس لم يكن مستعداً. ارتأيت أنه سيكون كافياً وضعها بلطف، إلى جانب المساحة التي كان يحرسها. من حسن حظي أنني نجحت».

يتكلم ببساطته المعتادة، وكالعادة أيضاً ينظر البرغوث إلى السماء، مُهدياً الهدف إلى جدّته سيليا، وشاكراً الله على نعمه. تنطلق الاحتفالات بعد ذلك في معسكر البلاوغرانا، وتنهمر الدموع من عيني ييب غوارديولا الذي تغمره المشاعر للمرّة الأولى. ليو أول مَنْ يعانقه ويشكره، لكنّه لا ينسى خصومه. يذهب لمصافحة لاعبي إستوديانتس فرداً فرداً «لأنّهم لعبوا على نحو رائع، ولأنّهم أرجنتينيون، ولأنّهم كانوا يشعرون بحزن عميق».

الثالثة ثابتة؛ فبعد الفشل في الفوز عامي 1992م، و 2006م، يفوز البارسا باللقب للمرّة الأولى في تاريخ النادي الممتد إلى مئة وعشرة أعوام. يُتَوَجَّع الفريق ملكاً على العالم. لم يسبق لأيّ فريق الفوز بستة ألقاب في موسم واحد. يعترف ميسي بذلك في حديث لصحيفة إل بيرويديكو، قائلاً: «لا أعتقد أننا استوعبنا إنجازنا بالكامل. سيكون صعباً على أيّ فريق تحقيق ذلك، سنقدّر الأمر تدريجياً مع مرور الوقت».





ميسي

تدرّج البارسا ليصل إلى قمة العالم، ووصل ليو القمة مرّة أخرى يوم الإثنين الموافق للحادي والعشرين من شهر كانون الثاني في مدينة زيوريخ التي تكسوها الثلوج.

بعد التاسعة مساءً بقليل، صعد رئيس الاتحاد الأوروبي لكرة القدم ميشيل بلاتيني إلى المنصة، برفقة رئيس الاتحاد الدولي لكرة القدم جوزيف سيب بلاتر. ألقى نظرة أخيرة على المرشّحين للفوز بالجائزة قبل أن يفتح المغلف الذهبي، ثمّ عرض مقطع فيديو يُظهر وجوه كريستيانو رونالدو، وأندرياس انيستا، وكاكا، وميسي، وتشافي.

يقول بلاتيني: إنّه فخور بأنّ المرشّحين كافة يلعبون في أندية أوروبية. ثمّ تأتي أكثر اللحظات أهمية حين يُعلن عن اسم الفائز: «أفضل لاعب في العالم لعام 2009م هو ليونيل ميسي».

الثالثة ثابتة مرّة أخرى؛ فبعد حلوله ثانيًا في عامي 2007م، و 2008م، أصبح ليو الرقم واحد. ينهض لاعب البارسا صاحب الرقم (10) من مقعده، وهو يُغلق أزرار سترته من نوع إيرمينيغيلدو زينغا، مُعدلاً ربطة عنقه الزرقاء، ثمّ يصعد إلى المسرح. يسلمه ميشيل بلاتيني الجائزة، ثمّ يدعو إلى إلقاء كلمة.

«عمتم مساءً. أودّ بدايةً شكر جميع اللاعبين الذين أجروا التصويت. إنّه لشرف عظيم لي أن مُنحتُ هذه الجائزة التي فاز بها لاعبون من أندية ومنتخبات أخرى، ذلك أمر رائع جدًّا. أودّ التقدّم بالشكر إلى زملائي في الفريق (تُسلط الكاميرا في هذه اللحظة على انيستا)، ومشاركتهم الجائزة. هذه نهاية مذهلة لعام رائع قضاه نادي برشلونة، وزملائي في الفريق، وأنا شخصيًّا. شكرًا جزيلاً لكم.

يتحدث ليو بصوت مرتجف، وابتسامة لم يسبق لها مثيل. لقد فاز، وبفارق كبير هذه المرّة أيضًا. فقد حصل على (1,073) نقطة؛ أي أكثر بثلاثة أضعاف





ما حصل عليه الثاني كريستيانورونالدو الذي جمع (352) نقطة، وتشافي الثالث (196)، وكاكا الرابع (190)، وانيستا الخامس (134). لقد منحه مدرّبو (147) دولة وقادتهم نصرًا ساحقًا.

يقول خورخي ميسي المحاط بسيليا، وماتياس، ورودريغو، وماري سول: «إنّها لحظة لا تُقدَّر بثمن. من المفهوم أن يفوز المرء بجائزة، أو يحوز فريق ما لقبًا، ولكن، أن يفوز هؤلاء بكلّ شيء دفعة واحدة، إنّهُ المستحيل بعينه». ثمّ يضيف قائلاً: «إنّها نهاية مثالية لعام مثالي، من الصعب أن يحصل المرء على قدر أكبر من السعادة».

«كوكب الأرض يستسلم عند قدمي ميسي»، عبارة تصدرت أحد عناوين الصحف في اليوم اللاحق. ولكن، بقي على ليو كسب قلوب أبناء شعب بعينه؛ أبناء وطنه الأرجنتين؛ لأنّهم «منزعجون من الّا يكون «غارديل» في أثناء لعبه مع المنتخب الوطني». وإنّهم منزعجون؛ لأنّ نجمه لم يسطع مع الألبيسيلستي على الرغم من تأهّلهم الصعب إلى بطولة كأس العالم في جنوب إفريقيا. «لأنّهُ يبدع مع برشلونة، ولكن ليس مع المنتخب». ذلك صحيح؛ فهو متهم في الأرجنتين بعدم حبّ أمّته كما ورد في مقال لديفيد غيستاو من صحيفة إل موندو: «كأنّ الأداء الضعيف مع المنتخب سببه ضعف الطموح، وليس الترويج للاعب يملك فرصة أكبر لربح اليانصيب من تلقّي تمريرة جيدة. لقد فرض مارادونا نموذجًا يوائم ميسي، لكنّه لا يناسب ميسي، اللاعب القادم من عالم آخر. أضف إلى ذلك أنّ مارادونا غادر الأرجنتين على جناح السرعة، كأنّهُ يحاول إحاطة نفسه بهالة زائفة». يتعيّن عليهم إدراك أنّ سبب المشكلة ليس ميسي، وإنّما الفريق المحيط به. تعامله الصحافة معاملة الغريب، ويهاجمه محرّروها بعبارات لاذعة، مثل: «ميسي ليس أرجنتينيًا؛» لأنّهُ أعطى كلّ ما لديه للبارسا، لأوروبا، ولم يكتفِ بذلك، بل دمرّ حلم إستوديانتس، الذي يُعدّ حلم الشعب الأرجنتيني





ميسي

في الوقت نفسه. صحيح أنّ ميسي لديه مشكلة مع الأرجنتينيين، أو بالأصح، الأرجنتينيين لديهم مشكلة مع ميسي. يعي ليو هذا الأمر، وتزعجه الأفاويل التي تدعي أنّه لا يآبه بالمنتخب الوطني. ولا شيء يزعجه أكثر من قولهم: إنّه ليس أرجنتينياً. يشرح هذا الأمر، قائلاً: «كيف لهم أن يعرفوا حقيقة شعوري؟». ولكن، يمكن حلّ الإشكال هذا العام في بطولة كأس العالم. كلّ ما يحتاج إليه ليو هو القيام بما يتقنه بصورة أكبر.

